

التدابير الادارية للخلفاء الامويين في الحج

Administrative measures of the Umayyad caliphs in Hajj

م د وجدان جعفر غالب*
جامعة البصرة (العراق)
Wijdanalmusawi9@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2025/01/16 تاريخ القبول: 2025/03/17 تاريخ النشر: 2025/05/18

ملخص: يسعى البحث الى تبين موسم الحج في جانب السياسي وتدابير الخلفاء اثناء الموسم ففريضة الحج فرصة ملائمة للقاء المسلمين من كل انحاء العالم الاسلامي ففيه يلتقي العلماء وطلبة العلم لأداء فريضة الحج فكان الحكام حريصين على الحضور في مكة المكرمة خلال تلك الايام بأنفسهم او من ينوب عنهم لكون الحج افضل وسيله اعلامية لأثبات الوجود السياسي.

وكون شعيرة الحج ركن اساسيا من اركان الدين الاسلامي لانها تدخل الانسان حاله من الصفاء الروحي بالاضافة الى حصول الحاج على غفران الذنوب، فهي رحلة مهمة لدى المسلمين يقومون بها كل عام فيجتمع المسلمين على اختلاف فئاتهم من مختلف نواحي العالم الاسلامي مما يجعلهم قوة واحدة ذات فكر وثقافة.

الكلمات المفتاحية: الحج، الموسم، تدابير، امويين، خلفاء

Abstract:

The research seeks to clarify the Hajj season from the political side and the measures of the caliphs during the season. The Hajj is a suitable opportunity for Muslims to meet from all over the Islamic world. Scholars and students of knowledge meet to perform the Hajj. The rulers were keen to attend in Mecca during those days themselves or their representatives because Hajj is the best media means to prove their political presence. The Hajj ritual is a fundamental pillar of the Islamic religion because it brings a person into a state of spiritual purity in addition to the pilgrim obtaining forgiveness of sins. It is an important journey for Muslims that they undertake every year. Muslims of different categories from different parts of the Islamic world gather, making them one force with thought and culture.

Keywords: Hajj, season, measures, Umayyads, caliphs

1.1 مقدمة:

يعد موضوع الحج من المواضيع المهمة في التاريخ الاسلامي، من حيث ان فريضة الحج يعد مؤتمر اصلاحي مناسب لأثبات العقيدة وهداية الامة لدين الاسلام، فقد كان للائمة دور مهما في الحج وبيان تشريعاته حتى تصل الناس بشكل واضح فبالإضافة الى اهتمام الموسم بالجانب العبادي شمل ايضا الجانب السياسي لان الامة كانت تعرض الى تهديدات مستمرة تهدد اركانها وكان من واجب الائمة التصدي لهذه المهمة من خلال توظيف موسم الحج سياسيا.

وكون شعيرة الحج ركن اساسيا من اركان الدين الاسلامي، لانها تدخل الانسان حاله من الصفاء الروحي بالاضافة الى حصول الحاج على غفران الذنوب، فهي رحلة مهمة لدى المسلمين يقومون بها كل عام فيجتمع المسلمين على اختلاف فئاتهم من مختلف نواحي العالم الاسلامي مما يجعلهم قوة واحدة ذات فكر وثقافة.

لقد ارتبطت فريضة الحج ارتباطا كبيرا بالخلافة والتاثير الديني والسياسي لهذا نجد حكام السلطة حريصين على تولي امانة الحج او ارسال من ينوب عنهم ⁽¹⁾، كما نجد بعض الحكام قد استثمروا هذه الفريضة سياسيا من خلال التعرف على اخبار العمال والولاة والامصار او من خلال مسائلة الحجاج الوافدين الى مكة اثناء موسم الحج، ولذا اتخذ الحكام استغلال الموسم في اوجه متعددة .

2- البيعة في الموسم:

اتخذ حكام الدولة الاسلامية من موسم الحج فرصة لاختد البيعة من المسلمين بولاية العهد حيث يفد الى مكة سنويا لاداء فريضة الحج لكثير من الحجاج ممثلين من كافة العالم الاسلامي ،اذ حدثت بيعة العقبة الاولى سنة 12 للبعثة بايع فيها رسول الله ﷺ جماعة من الذين امنوا به وصدقوه وكان عددهم 12 رجلا اثنان من قبيلة الاوس وعشرة من قبيلة الخزرج وقد وقعت البيعة في موسم الحج عند العقبة ⁽²⁾.

وبعد ذلك حدثت بيعة العقبة الثانية 13 من البعثة وقد مهدت هذه البيعة للهجرة النبوية فقد حضر الموسم عدد كبير من اهل يثرب الذين بلغتهم دعوته ⁽³⁾، كما اشرنا لها سابقا في حج الرسول ﷺ.

فضلا عن ذلك تشير المصادر انه في اواخر عهد عثمان قدم الاحنف بن قيس الى المدينة وهو يريد الحج عندما كان عثمان محصورا في منزله بسبب الفتنة التي حدثت في زمنه ⁽⁴⁾، فلقى الاحنف طلحة بن عبد الله ⁽⁵⁾ والزبير بن العوام ⁽⁶⁾ وعائشة فسألهم لمن يبايع بعد مقتل عثمان فذكر له مبايعة علي عليه السلام فلما عاد الى المدينة بايع علي عليه السلام ⁽⁷⁾.

وعمل معاوية في سياسته جعل السيطرة على الموسم لما له اهمية عند المسلمين ويمثل دعاية للحاكم فعلى سبيل المثال بعث معاوية عام 39هـ/659م عبد الله بن مسعدة الفزاري⁽⁸⁾ وحشد معه الكثير من الجند بحيث كان يقتل من يمتنع الذهاب معه الى مكة والمدينة فانتهى الى ما اوصاه به، وعندما علم الامام علي عليه السلام باعمال الفزاري ودخول مكة فارسل اليه قوة بقيادة المسيب بن نجيبه الفزاري⁽⁹⁾، لقتاله فالتقى المسيب مع ابن مسعدة وهزمه واجبره الاحتماء بحصن تيماء ثم اطلق سراحه⁽¹⁰⁾.

اراد معاوية بن ابي سفيان بعد هزيمة بن مسعد ان يحقق نصرا على الامام علي عليه السلام فقرر الاشراف على الموسم وارسل معاوية بن ابي سفيان يزيد بن شجرة الرهاوي⁽¹¹⁾، ليقوم للناس الحج فياخذ البيعة بمكة وينفي عنها والي علي بن ابي طالب عليه السلام، توجه يزيد ومعه 300 فارس وكان بمكة قثم بن العباس والي مكة واتفق الطرفان على الامان وعدم القتل وبعد قضاء الحج رجع يزيد الى الشام ثم لحقت به قوات قثم بن العباس بعد وصول المداد من علي بن ابي طالب عليه السلام فنظروا ببعض اتباع يزيد فاخذهم اسرى الى علي بن ابي طالب عليه السلام⁽¹²⁾.

وعلى ما يبدو ان معاوية استغل موسم الحج لإرسال دعائه إلى هناك بسبب كثرة ما يتوافد من الناس لأداء فريضة الحج , لذلك وجدها فرصة سانحة لخداع الناس وتضليلهم بالدعايات والأوهام التي يطلقها .

وبعد نهاية الموسم ارسل الامام علي عليه السلام معقل بن قيس الرياحي⁽¹³⁾، الى مكة ليرد عنها قوما من اهل الشام فوصلها بينما كان اصحاب معاوية عائدين الى الشام فقبض على عشرة منهم ولم يحاربهم بسبب حرمة الشهر⁽¹⁴⁾.

وفي عام 41هـ/661م امر معاوية بسر بن اوطاة⁽¹⁵⁾، بالسير الى المدينة ومكة واليمن لاخت البيعة له وانتهى الى ما امره له معاوية ،اثارت هذه التطورات الامام علي عليه السلام فقام خطيبا في الناس ودعاهم الى نصره اخوانهم فتجمعت اليه قوة من الفي رجل جعل القيادة الى جارية بن قدامة⁽¹⁶⁾⁽¹⁷⁾.

سار جارية بن قدامة حتى اتى اليمن وطلب بسرا فهرب الى مكة فاتبعه جارية وظفر بقوم من اصحابه فقتلهم وعندما دخل الى مكة طلب من اهلها مبايعه الامام علي عليه السلام⁽¹⁸⁾.

اضافة الى ذلك كان الحكام الامويون يستغلون موسم الحج لالقاء الخطب السياسية لترهيب الناس وتحذيرهم واخذ البيعة منهم فتصل نداءات الحاكم الى مسامع الجماهير خلال موسم الحج ،ففي عام 41هـ/661م خطب عتبة بن ابي سفيان جاء نص الخطبة " أيها الناس، إنا قد ولينا هذا الموضع الذي يضاعف الله فيه للمحسن الأجر وعلى المسيء الوزر، فلا تمدوا الأعناق إلى غيرنا، فإنها تنقطع دوننا، ورب متمن حتفه في أمنيته، اقبلوا العافية ما قبلناها منكم وفيكم، وإياكم ولو فقد أتعبت من كان قبلكم ولن تريح من

بعدكم. فأسأل الله أن يعين كلا على كل، فننق به أعرابي من مؤخر المسجد فقال: أيها الخليفة! فقال: لست به ولم تبع، قال: فيا أخاه! قال: قد أسمعت فقل، فقال: واله لأن تحسنوا وقد أسأنا خير لكم من أن تسيئوا وقد أحسنا، فإن كان الإحسان لكم فما أحقكم باستتمامه، وإن كان لنا فما أحقكم بمكافأتنا! رجل من بني عامر يمت إليكم بالعمومة، ويختص إليكم بالخؤولة، وقد وطئه زمان وكثرة عيال، وفيه أجر، وعنده شكر. فقال عتبة: **أستعيز بالله منك**، وأستعينه عليك، قد أمرت لك بغناك، فليت إسرعنا إليك، يقوم بإبطائنا عنك!..⁽¹⁹⁾.

وذكرت المصادر في عام 51هـ/671م حج معاوية بن ابي سفيان لاخذ البيعة لابنة يزيد فقدم المدينة واجتمع منفردا مع كل من عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن ابي بكر وعبد الله بن الزبير وحذرهم من شق عصى الطاعة ثم خطب بالناس بعد ذلك واخبرهم ان ابن عمر وابن ابي بكر وابن الزبير قد سمعوا واطاعوا وبايعوا ليزيد وحقيقة الامر لم يبايعوا⁽²⁰⁾.

أي ان معاوية انتظر قدوم الحجاج لياخذ البيعة من كافة الصحابة والتابعين اثناء تجمعهم لاداء مناسك الحج لكن ابناء الصحابة اجمعوا على المعارضة في بيعة يزيد بكل قوة وعبر عبد الله بن عمر عن ذلك بقوله "اما بعد يا معاوية لقد كانت قبلك خلفاء وكان لهم بنون ليس ابنك بخير من ابناءهم فلم يرو في ابناءهم ما رايت في ابنك فلم يحابوا في هذا الامر احد لكن اختاروا لهذه الامة حيث علموهم..."⁽²¹⁾.

اما عبد الله بن الزبير فدعى الناس لمبايعته بالخلافة اثناء حركته ضد بني اميه حيث كان عبد الله بن الزبير ياخذ البيعة لنفسه في الموسم، فذكر ان عبد الملك منع أهل الشام من الحج ، بسبب أن ابن الزبير كان يستغل الحجاج في الموسم لمبايعته ، وقام عبد الملك بمنعهم من الذهاب إلى مكة ، فضج الناس بسبب ذلك الأمر ، وتكلموا مع عبد الملك بشأن منعهم من إداء فريضة من فرائض الله تعالى⁽²²⁾ .

وعندما طلب عبد الله بن الزبير، محمد بن الحنفية⁽²³⁾، وعبد الله بن عباس وعددا من بني هاشم ان يبايعوه فامتنعوا وكرهوا البيعة لمن لم تجمع عليه الامه وخبرهم ابن الزبير بين البيعة له او الحرق بالنار فكتب محمد بن الحنفية الى المختار بن عبيد الثقفي⁽²⁴⁾، والى اهل الكوفة يخبرهم بما توعدهم له ابن الزبير⁽²⁵⁾.

وذكر الطبري في حوادث عام 66هـ/685م قدمت قوات المختار بن عبيد الثقفي لحماية محمد بن الحنفية ومن معه من بني هاشم في الموسم وعرفت هذه القوات بالخشبية⁽²⁶⁾ ، حيث قدموا مكة وحرروا ابن الحنفية وطلبوا من ابن الحنفية ان يقاتل ابن الزبير لكن ابن الحنفية كف اصحابه وحذرهم الفتنة فلما رأهم ابن الزبير خافهم وابتعد بني هاشم عن مكة⁽²⁷⁾.

ونلاحظ هنا ان عبد الله بن الزبير اتخذ البيعة لنفسه في الموسم ومن مكة مركزا لحركته واعتصم بالبيت الحرام وكان ذلك ذو بعد سياسي حيث لا يمكن البطش به وهو لائذ بالكعبة، مما جعل عبد الملك بن مروان يعمل على ابعاد الناس عن اداء الحج.

وفي العهد المرواني لحكم بني امية استغل الموسم بتجديد البيعة للحاكم الاموي عبر وجود الحجيج اثناء الموسم ، فقد كان موسم الحج فرصة لاطلاع الراي العام لتعرف على صفات الامراء حيث يساعد ذلك على كسب تاييد الراي العام في الخلع او المبايعه، فذكر ابو الفرج الاصفهاني ان هشام بن عبد الملك قد رغب في خلع الوليد بن يزيد من ولاية العهد وعقد العهد لابنه مسلمة بن هشام وكان الوليد فاسقا خليعا شديدا الاذمان على شرب الخمر فولاه هشام الحج ليظهر ذلك منه بالحرمين فينكر المسلمون عليه ذلك فحج وظهر منه فعل مذموم وتشاغل بالمغنيين والشراب وامر مولى له فحج بالناس⁽²⁸⁾.

وكذلك في رواية اخرى حج فيها هشام بن عبد الملك ذكر " ... ودخل الكعبة ومعه مولاه سالم وكان الامام الباقر عليه السلام جالسا في المسجد ... ، فقال له سالم مولاه : يا أمير المؤمنين هذا محمد بن علي ، قال هشام : المفتون به أهل العراق ؟ قال : نعم ، قال : اذهب إليه فقل له يقول لك أمير المؤمنين : ما الذي يأكل الناس ويشربون إلى أن يفصل بينهم يوم القيامة ؟ قال له أبو جعفر عليه السلام : يحشر الناس على مثل قرص النقي ، فيها أنهار متفجرة ، يأكلون ويشربون حتى يفرغ من الحساب ، قال : فرأى هشام أنه قد ظفر به ، فقال : الله أكبر ، اذهب إليه فقل له : ما أشغلهم عن الأكل والشرب يومئذ ؟ ! فقال له أبو جعفر عليه السلام : هم في النار أشغل ولم يشغلوا عن أن قالوا : أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله فسكت هشام لا يرجع كلاما"⁽²⁹⁾.

نلاحظ ان بني امية كشفوا عن سياستهم الحازمة منذ قيام دولتهم بتحذير اي حركة سياسية ضد دولتهم ودعوا الناس الى الهدوء والمسالمة وترك الخوض في مسألة الخلافة واستمر تهديدهم للعامة فعلى سبيل المثال لا للحصر عندما حج عبد الملك بن مروان في عام 75هـ/694م ، صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : "أما بعد ذلك أيها الناس فلست بالخليفة المستضعف - يعني عثمان - ولا بالخليفة المداهن - يعني معاوية - ولا بالخليفة المأفون - يعني يزيد - ألا وإن من قبلي من الولاة كانوا يأكلون ويؤكلون ، وإني والله لا أداويكم إلا بالسيف ، فمن أحب أن يبدي صفحته فليفل ، فلا تكلفونا أعمال المهاجرين ، ولستم تعملون أعمالهم ، فوالله ما زلتم تزدادون استجراحا وازداد لكم عقوبة ، حتى التقينا نحن وأنتم عند السيوف ، هذا عمرو بن سعيد قال برأسه كذا ، فقلنا بسيفنا كذا ، ألا فليبلغ الشاهد الغائب إنه ليست من لعبة إلا ونحن نحتملها ، ما لم تبلغ أن تكون صعود منبر أو نصب راية ، ألا وإن جامعة عمرو بن سعيد التي جعلناها في عنقه عندنا ، وإني

أعطى الله عهداً أن لا أجعلها في عنق أحد فأخرجها منه إلا صعداً ، ...⁽³⁰⁾ ، كشفت خطبة عبد الملك عن سياسة الحازمة التي يتبعها لردع المتمردين وهي ارهاب للمسلمين في اثناء الموسم.

وذكر اليعقوبي ان الوليد بن عبد الملك حج سنة 91هـ/709م توعده اهل المدينة فقال "انكم اهل الخلاف والمعصية فقام اليه قوم فكلموه وكلمة ابو بكر بن عبد الرحمن فقال مانجهل ما تقولون ولكن في النفوس ما فيها وصار الى مكة فخطب بها خطبة بتراء ذكر فيها الوعيد والتهديد"⁽³¹⁾.

نلاحظ ان الوليد صرح بارتياحه من طاعة اهل المدينة ومكة وشكك في مودتهم فكانوا سامعون مطيعون لكن بعضهم كان يتحين الفرص للانتقام من بني امية لانهم استولوا على السلطة واستبدوا بها وكانوا يخفون ذلك ويخشون ان يجهروا به ولذلك اراد الوليد ان يفرغ ما كان يجيش في صدره من غضب وحقد عليهم وان يكرههم على ان يذعنوا له ويستكينوا لسلطانه.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل الموسم : "أما بعد فإنني أشهد الله وأبرأ إليه في الشهر الحرام والحرام ويوم الحج الأكبر أنني بريء من ظلم من ظلمكم ، وعدوان من اعتدى عليكم ، أن أكون أمرت بذلك أو رضيته أو تعمدته ، إلا أن يكون وهما مني ، أو أمراً خفي عليّ لم أتعده ، وأرجو أن يكون ذلك موضوعاً عني مغفوراً لي إذا علم مني الحرص والاجتهاد . ألا وإنه لا إذن على مظلوم دوني ، وأنا معول كل مظلوم ، ألا وأي عامل من عمالي رغب عن الحق ولم يعمل بالكتاب والسنة فلا طاعة له عليكم ، وقد صيرت أمره إليكم حتى يراجع الحق وهو ذميم . ألا وإنه لا دولة بين أغنيائكم ولا أثره على فقرائكم في شيء من فيئكم ، ألا وأيما وارد ورد في أمر يصلح الله به خاصاً أو عاماً من هذا الدين فله بين مائة دينار إلى ثلاثمائة دينار على قدر ما نوى من الحسنة وتجشّم من المشقة . رحم الله امرءاً لم يتعاضمه سفر يحيي الله به حقاً لمن وراءه . لولا أن أشغلكم عن مناسككم لرسمت لكم أمورا من الحق أحياها الله ، وأمورا من الباطل أماتها الله عنكم ، وكان الله هو المتوحد بذلك فلا تحمدوا غيره ، فإنه لو وكلني إلى نفسي كنت كغيري ، والسلام"⁽³²⁾ ، ان دراسة النص نلاحظ ان عمر بن عبد العزيز بنى لنا سياسة المغايرة في معاملة الرعية متخلية عن عهد التهديد والوعيد وسفك الدماء، الذي اتخذه اسلافه من الامويين.

نلاحظ ان حكام بني امية كانوا يهدفون من خطبهم في الموسم ان يبينوا لاهل مكة والمدينة انهم اصحاب الحق في السلطة ويجب عليهم ان يعترفوا بذلك ويسلموا لهم فان اقروا بذلك استقامت حياتهم وان رفضوا قاتلوهم وسفكوا دمائهم حتى يخضعوا لسلطانهم.

وهكذا كانت مواسم الحج منبرا يعلن فيه عن أي امر سياسي هام لاطلاع الراي العام عليه كما كانت مولدا لآخذ البيعة للحكام او كتابة المواثيق وفرصة للقاء الولاة بعض القرارات من خلال الخطب السياسية التي تلقي في الموسم مما يعكس لنا ان الموسم شهد نشاط سياسيا.

2: تعيين وعزل الولاة:

كانت فريضة الحج الى الحرمين (مكة المكرمة والمدينة المنورة) زاخرة بالعديد من الاحداث السياسية ففي موسم الحج يلتقى فيه الحكام برجالات الدولة من الولاة والعاملين فيها للتعرف على سير الامور الادارية في الدولة ومدى تطبيقها وتقبل العامه لها وكان عمر بن الخطاب اول من عمل على لقاء الولاة وعمال على اقاليم الدولة الاسلامية للتعرف على سير الامور الادارية في المجتمع وعدم الاخلال به لهذا كان الحكام يستدعون ولايتهم لموافاتهم الموسم⁽³³⁾، فنجد حجاج بيت الله الحرام كانوا يستغلون فرصة الحج للاجتماع بالخلفاء لعرض مشاكلهم السياسية في الامصار الاسلامية.

وخلال موسم الحج كان الحكام يصدرن بعض القرارات الادارية منها التعيين او العزل، فذكر ابن كثير ان عتبة بن غزوان والي البصرة اجتمع مع عمر بن الخطاب في موسم الحج وساله ان يقلبه عن ولايته فلم يوافق عمر بن الخطاب واقسم عليه بالعودة الى عمله، فمات عتبه وهو منصرف من الحج فولى عمر بعده واليا على البصرة المغيرة بن شعبة⁽³⁴⁾.

ومن القرارات الادارية التي صدرت اثناء الموسم على سبيل المثال اثناء عام 75هـ/694م حج عبد الملك بن مروان فاقر عمه يحيى بن الحكم ابن ابي العاص⁽³⁵⁾، على ولاية المدينة واميه بن عبد الله على بلاد خراسان⁽³⁶⁾.

وذكر الطبري ان سليمان بن عبد الملك حج سنة 97هـ/715م بعد عودته من الحج عزل عن ولاية مكة طلحة بن داود الحضرمي وولي عليها عبد العزيز بن عبد الله بن خالد مكانه⁽³⁷⁾.

وعندما حج هشام بن عبد الملك عام 113هـ/731م عين على المدينة خالد بن عبد الملك بن الحارث بن أبي العاص⁽³⁸⁾.

وفي حال اشتداد الخلاف بين زعماء المسلمين وتضطرب الاحوال السياسية يلجا اهل مكة الى تولية من يقوم بادارة الموسم، فعلى سبيل المثال عندما اشتد النزاع بين الامام علي عليه السلام ومعاوية في السيطرة على مكة اجتمع اهل مكة على تعيين شيبه بن عثمان⁽³⁹⁾، الذي حج بالناس عام 39هـ/659م⁽⁴⁰⁾.

كما ان نزاعا حدث بين عمرو بن الليث الصفار واحمد بن طولون، حيث ذكر الطبري ان النزاع وقع في مكة في المسجد الحرام بين اتباع ابن طولون واتباع عمرو بن الليث حيث نازل كل واحد منهما صاحبة في ركن علمة على يمين المنبر في الحرم (41).

ولما كان موسم الحج هو افضل وسيله لابلاغ المسلمين بالقرارات حيث وفود الحجاج من الاقاليم الاسلامية كافة حيث تمت قراءة كتاب الخلافة القاضي بلعن احمد بن طولون على خروجه عن الخلافة وذلك في المسجد الحرام بمكة (42).

وبذلك يعبر الموسم من الناحية السياسية عن القرارات منها عزل بعض الولاة من جهة ومن جهة اخرى عن تلاحم المسلمين مع قادتهم من خلال الخطب في اثناء الموسم ،التي تعبر عن الولاء للسلطة الشرعية (43).

3: تصفية الخصوم:

على اثر مؤتمر السقيفة عام 11هـ/632م والعمل على خلاف وصية الرسول ﷺ في مؤتمر الغدير 10هـ/631م ومارافق ذلك من حدوث خلافات وانشقاق في داخل المجتمع وحروب اهليه (داخليه) راح ضحيتها عثمان بن عفان ،فضلا عن الانحراف عن الشريعة الاسلامية من قبل الخوارج والفرق التي نفذت من السلطة بصورة مباشرة او غير مباشرة ،فعلى سبيل المثال عندما انشق الخوارج بعد قرار التحكيم عام 37هـ/656م في صفين بداءوا في العمل بكل الوسائل والاساليب وفي كل الامكنه للاطاحه بالامام عليه السلام ومنها موسم الحج فعلى سبيل المثال خطبة ابو حمزة الخارجي (44)، بمكة حيث ذكر فيها رسول الله ﷺ ثم بكر وعمر بما هم اهله وولى عثمان فسار ست سنين بسيرة صاحبيه وكان دونهما ثم سار في الست الاواخر بما احبط به الاوائل ثم مضى الى سبيله وولي علي فلم يبلغ من الحق قصدا ولم يرفع له منارا ثم مضى الى سبيله...ثم اقتصم خليفة خليفة فلما وصل الى عمر بن عبد العزيز عرض عن ذكره (45)، ومن ذلك نجد ان الخوارج كانوا يحاولون بث افكارهم المتطرفة والمسمومة من خلال تجمع المسلمين في مكة وقت الحج لكننا لم نجد لهؤلاء قبولا ولا لافكارهم رواجاً عند المسلمين اذ نجد الحكام والمسلمين ومنذ عهد الامام علي عليه السلام قد حاربوهم واستمر ذلك طول العهد الاموي والعباسي .

بالاضافة الى مؤتمر الخوارج الذي انعقد في مكة أيام موسم الحج عام 37هـ/656م ، وهي حافلة - من دون شك - بالكثيرين من أعضاء الحزب الأموي الذين نزحوا إلى مكة لإشاعة الكراهية والنقمة على حكومة الامام عليه السلام، وأغلب الظن انهم تعرفوا على الخوارج الذين كانوا من اعداء الناس للامام ، فقاموا بالدعم الكامل لهم على اغتيال الامام عليه السلام، ومما يساعد على ذلك أن الخوارج بعد انقضاء الموسم أقاموا بمكة

إلى رجب فاعتمروا في البيت ثم نرحوا إلى تنفيذ مخططهم وكانوا على اتصال دائم مع الحزب الأموي ، وسائر الأحزاب الأخرى المناهضة لحكم الامام " (46).

حيث كان للحزب الأموي دور كبير في هذه المؤامرة ضد الامام علي عليه السلام لاسيما ان ابن ملجم (47)، لم يكن له المال الكافي ليشترى سيف لا يغتال الامام عليه السلام مما يعطي هذا انه تلقى الدعم من قبل الامويين للقيام بهذه المهمة (48).

كما ان الامام علي عليه السلام حذر من فتنه بني اميه ومحاولاتهم في تضليل المسلمين وفق سياستهم الخادعة، فقال عليه السلام في خطبة له "الا وان اخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني امية فانها فتنة عمياء مظلمة عمت خطتها وخطت بليتها واصحاب البلاء من ابصر فيها واخطا البلاء من عمي عنها وايم الله لتجدن بني اميه لكم ارباب سوء بعدي..." (49).

كذلك في كلام له عليه السلام اشار فيه الى ظلم بني اميه وحذر من سياستهم الهدامة للدين الاسلامي والتي سعى الرسول ﷺ الى ازالته معتقدات سلاطين بني اميه وحكامهم الى اعادتها بقلب اخر فقال "والله لايزالون حتى لا يدعوا الله محرما الاستحلو ولا عقدا الا حلوه لا يبقى بيت مدر ولادبر الا دخلة ظلمهم وتيا به سوء رعيهم وحتى يقوم الباكيان يبكيان باك يبكي لدينه وياك يبكي لدنياه" (50).

حيث ان تسلط الحكام وغياب العدل والحق ادت الى نجاح مؤامرة معاوية والخوارج في ذلك في زيادة التعسف الأموي والانحراف عن تعاليم الاسلام فنهض ابنائه من بعده، فكانت ثورة الامام الحسين عليه السلام وتضحياته كفيله بزلزله عروش الطغاة الأمويين ومنهاجا للمسلمين ضد طغاة بني العباس.

استغل الحكام موسم الحج وتعرفوا من خلاله على اصحاب الميول السياسية المعادية لهم فكانوا يسالون عنهم ويلتغون بهم ويناقشون فعلى سبيل المثال عندما حج معاوية عام 41هـ/661م التقى دارمية الحجونية (51) ونص الحديث " أتدري لما بعثت إليك ؟ قالت : لا يعلم الغيب إلا الله ، قال : بعث إليك لأسألك علام أحببت عليا وأبغضتني ؟ وواليتي وعاديتني ؟ قالت : أو تعفيني ؟ قال : لا أعفيك . قالت : أما إذا أبييت فإني أحببت عليا على عدله في الرعية ، و قسمه بالسوية ، وأبغضتك على قتال من هو أولى منك بالأمر ، وطلبتك ما ليس لك بحق ، وواليت عليا على ما عقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم من الولاء ، وحببه المساكين ، وإعظامه لأهل الدين ، وعاديتك على سفك الدماء ، وجورك في القضاء ، وحكمك بالهوى" (52).

يتضح مما تقدم لقاء معاوية بدرامية الحجونية بين اسباب قناعاتها بخلافة الامام علي عليه السلام حيث برزت عن ميولها لعلي عليه السلام بانه صاحب الحق بالخلافة لما عقد له الرسول ﷺ ولما يتحلى من صفات

ال خليفة المسلم من العدل والمساواة وبرزت عن بغضها لمعاوية انه استوى على مقاليد الخلافة بالسيف واغتصب حق غيره بالخلافة.

وهكذا موسم الحج ملتقى لاصحاب الميول السياسية حيث يلتقون ويناقشون وي طرحون افكارهم بالموسم، فذكر الاصفهاني "ان الشاعر كثير عزة⁽⁵³⁾، وخندق بن مرة الاسدي⁽⁵⁴⁾، كان صديقه عندما اجتمعا في موسم الحج ودار بينهما حديث نصه فقال خندق : لو وجدت من يضمن لي عيالي بعدي لوقفت بالموسم فذكرت فضل آل محمد صلى الله عليه وسلم ، وظلم الناس لهم وغضبهم إياهم على حقهم ، ودعوت إليهم وتبرأت من أبي بكر وعمر . فضمن كثير عياله ، فقام ففعل ذلك وسب أبا بكر وعمر وتبرأ منهما . قال عمر بن شبة في خبره فقال : أيها الناس إنكم على غير حق ، تركتم أهل بيت نبيكم ، والحق لهم وهم الأئمة - ولم يقل إنه سب أحدا - فوثب عليه الناس فضربوه ورموه حتى قتلوه"⁽⁵⁵⁾.

مما تقدم نرى ان المواسم كانت فرصة يستغلها السياسيين لتحقيق اهدافهم والتي كان من بينها محاولات الاغتيال والقتل عند قدومهم لاداء فريضة الحج وختلفت الاسباب والغايات من هذه المحاولات فبعضها كان ثارا كالمحاربة التي رغبت عائشة ضد معاوية لقتلة اخيها وبغضها على بني اميه⁽⁵⁶⁾.

فشهد مواسم الحج اغتيال بعض الفقهاء وعلماء الدين ومن ذلك تشير المصادر ان معاوية بن ابي سفيان قدم المدينة فدخل على عائشة فقالت له "يامعاوية كنت تامن ان اقعد لك رجلا فاقتلك كما قتلت اخي محمد بن ابي بكر؟ فقال معاوية ماكنت لتفعلي ذلك قالت لم قال لاني في بيت من بيت رسول الله ﷺ"⁽⁵⁷⁾.

وفي اثناء حج عبد الملك عام 75هـ/694م حج جماعة من الخوارج منهم صالح بن مسرح⁽⁵⁸⁾، وشبيب بن يزيد ،فحاول شبيب الفتك بعبد الملك بن مروان فبلغه ذلك وبعد انصرافه من الحج كتب الى الحجاج ان يتعقبهم ويطلبهم⁽⁵⁹⁾.

وكان بعض محاولات اغتيال الحكام تاتي نتيجة سلوكهم ومنهم الوليد بن يزيد الفاسق الخليع صاحب الافعال السيئة اراد البيعة لابنيه الحكم وعثمان رغم صغر سنيهما فنقم عليه الناس ومنهم اهل الشام فلما اراد الخروج ذات مره للحج منعه من حوله من ذلك خوفا عليه من القتل⁽⁶⁰⁾.

وباتي اغتيال عبد الله بن عمر في الموسم عام قتل ابن الزبير مع الحجاج بن يوسف. احد الشواهد في تصفية الخصوم ،فقد ذكر مصعب الزبيري بقوله "ان الحجاج بن يوسف الثقفي ت95هـ/713م عندما حج كتب اليه عبد الملك ان لا يخالف عبد الله بن عمر وان ياخذ براهيه ولكن ثقل على الحجاج امره امر رجلا معه حربه يقال انها كانت مسمومه فلما دفع الناس من عرفة لصق به ذلك الرجل امر الحربة على رجله وهي في غرز رحلة فمرض منها ومات بمكة ودفن بها"⁽⁶¹⁾ (

4-الخاتمة:

جاء هذا البحث لألقاء الضوء على تدابير الخفاء في اثناء موسم الحج حيث ان تأدية فريضة الحج يصاحبها اجتماع المسلمين في زمن واحد يواكب ذلك فعاليات عديدة كافة مجالات الحياتية حيث كشفت الفعاليات والأنشطة السياسية التي شهدتها مواسم الحج من مساعي الخفاء لدعم نظام الحكم ،فكان للقاء الخطب السياسية التي تحمل معاني النصح والارشاد لكل من يخرج عن لاسلام .

وكان هناك من الخفاء من يستغل الموسم من اجل الحصول على المناصب وغيرها بسبب اجتماع الناس في ذلك البكان من كل انحاء العالم.

الهوامش/

¹ - عن امانة الحج .ينظر الطبري تاريخ الرسل والملوك،ج11،ص403 المسعودي مروج الذهب ج4 ص306-307، نزار عزيز ،خدمات الحجيج في العصر العباسي،رسالة ماجستير ،غير منشورة،جامعة البصرة،كلية الاداب،ص200

² - ابن هشام،السيرة النبوية،ج2،ص293،الطبري،تاريخ الرسل والملوك،ج2،ص96

³ - ابن هشام،السيرة النبوية،ج2،ص311

⁴ - حول الفتنة واسبابها ينظر ابن سعد ،الطبقات،ج3،ص45-55

⁵ - طلحة بن عبد الله بن عوف بن عبد الحارث وامه فاطمة بنت مطيع بن الاسود .ابن سعد الطبقات ج5 ص122

⁶ - بن خويلد بن اسد الاسدي ابو عبد الله شهد بدرًا ومابعدا وهو من اصحاب الشورى الذين ذكرهم عمر ابن الخطاب للخلافة بعده وشهد الجمل مقاتلا لعلي عليه السلام روى عن النبي ﷺ وروى عنه ابنائه عبد الله وعروة والاحنف قتل يوم الجمل سنة 36هـ.ينظر:ابن الاثير،اسد الغابة،ج2،ص307

⁷ - الطبري، تاريخ الرسل والملوك،ج4،ص497-498

⁸ - عبد الله بن مسعدة بن مالك الفزاري وقيل بن مسعدة بن مسعود يلقب بصاحب الجيوش لانه كان امير على غزو الروم ..ينظر:ابن الاثير،اسد الغابة ،ج3،ص381 ،ابن حجر العسقلاني ،الاصابة في تميز الصحابة،ج4،ص196

⁹ - من اصحاب الامام علي والحسن عليهم السلام كان من التابعين شهد حرب الجمل مع الامام علي .ينظر:شاهرودي مستدرك علم الرجال،ج7،ص421

¹⁰ - ابن كثير ،البداية والنهاية ج7،ص354

¹¹ - يزيد بن شجرة الرهاوي وهو من قبيلة الأشعريين ، وهو أحد أمراء معاوية وبعثه في ثلاثة آلاف فارس إلى مكة فدخلها وخطب فيها وأراد ان يقيم الحج فنازعه قثم بن العباس وهو عامل أمير المؤمنين عليه السلام على مكة فاصطلحا بعد ذلك ، وكان يغزو الثغور وقتل في إحدى غزواته سنة (58هـ) ، ينظر ، ابن عبد البر ، الإستيعاب ،ج4،ص761 ؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ، ج 65،ص220 .

¹² - ابن الاثير،الكامل،ج3،ص378

- 13- معقل بن قيس الرياحي من بني رباح بن يربوع بن حنظله بن مالك من اهل الكوفة بعثه علي حين ارتدو بني ناجيه لمحاربة يزيد. ينظر ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 59، ص 367
- 14- البلاذري، انساب الاشراف ج 3، ص 221، ابن الاثير، الكامل في تاريخ، ج 3، ص 378
- 15- بسر بن أبي أرطأة.: واسمه عمير بن عويمر بن عمران بن الجليس بن سيار ابن نزار بن معيص بن عامر بن لؤي، استشهد رسول الله (ﷺ)، ويسر بن أبي أرطأة صغير، ولم يرو عنه أحد من المدنيين، نزل الشام، وكان قد صحب معاوية، وكان عثمانياً، وبقي إلى خلافة عبد الملك بن مروان. ينظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 287.
- 16- بن زهير بن الحصين العربي ابو ايوب مات زمن يزيد بن معاوية ينظر ابن سعد ،الطبقات الكبرى ج 7، ص 56
- 17- ابن خياط، تاريخ خليفة، ص 178
- 18- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 199
- 19- المبرد، الكامل في اللغة والادب، ج 4، ص 91
- 20- ابن خياط، تاريخ خليفة ، ص 213،، ابن قتيبة الدنيوري، الامامة والسياسة، ج 1، ص 253-259؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج 3، ص 573
- 21- ابن قتيبة الدنيوري، الامامة والسياسة ، ج 2، ص 162
- 22- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 261
- 23- محمد بن الحنفية يكنى القاسم وقيل أبو عبد الله ، محمد الأكبر بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، يقال له محمد بن الحنفية ، ولد عام 3هـ؛ ينظر : ابن سعد : الطبقات، ج 5، ص 91-116؛ ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، ص 103.
- 24- المختار بن عبيد الثقفي من ثقيف ذو رأي وفصاحه وشجاعه كان قليل الدين ادعى ان الوحي ياتيه وانه يعلم الغيب ينظر: البلاذري، انساب الاشراف، ج 6، ص 375
- 25- اليعقوبي تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 261
- 26- جماعات من الموالي اشتركوا في الحرب بين المختار وابن الزبير وسارت الى مكة لتخليص بن الحنفية من سجن ابن الزبير وقيل الخشبية لانهم كانوا يحملون عصا الخشب بدل السيوف . ينظر: ابن الاثير ،الكامل في تاريخ ، ج 4، ص 251
- 28- الاغاني، ج 16، ص 454
- 29- المفيد، الارشاد، ج 2، ص 163
- 30- البلاذري ،انساب الاشراف، ج 17، ص 212
- 31- تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 285
- 32- الحمودني، التذكرة الحمودنية ج 1، ص 153
- 33- ابن الاثير ،الكامل في تاريخ ، ج 2، ص 529
- 34- ابن كثير ،البداية والنهاية ، ج 1، ص 97
- 35- يحيى بن الحكم بن امويه بن ابي العاص توفي 71-80هـ ولي على المدينة من قبل عبد الملك فعزله ثم ولي حمص . ينظر: الذهبي تاريخ الاسلام ، ج 2، ص 887

- 36- الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، ج 6 ، ص 259
- 37- الطبري تاريخ الرسل والملوك، ج 6، ص 229
- 38- ابن عساكر، تاريخ دمشق ، ج 31، ص 21
- 39- ابا عثمان شيبه بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي القرشي العبدري الحنظلي المكي ، وأبوه عثمان بن أبي طلحة يعرف بالأوقص، قتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم أحد. واسم أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى. أسلم شيبه بن عثمان يوم فتح مكة، وشهد حنيناً، وقيل: بل أسلم بحنين. ينظر: القرطبي، الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، ج 2، ص 712
- 40- البلاذري، انساب الاشراف، ج 4، ص 86
- 41- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 8، ص 91
- 42- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 8، ص 136
- 43- ينظر ابن جبير، رحلة بن جبير ، ص 158
- 44- المختار بن عوف الازدي من اهل البصرة احد رجالات الخوارج الاباضية . ينظر البلاذري، انساب الاشراف، ج 9، ص 285، ابو الفرج الاصفهاني، الاغانى، ج 23، ص 116
- 45- ابن قتبية، عيون الاخبار ، ج 6، ص 249
- 46- القرشي، حياة الامام الرضا، ج 2، ص 105
- 47- عبد الرحمن بن ملجم بن عمرو بن يحيى المرادي كان من شيعة الامام علي ثم انقلب عليه وصار خارجياً واتفق مع اثنين هما البرك وعمرو بن بكر على قتل الامام سنة 40هـ. ينظر ابن الطقطقي، الفخري في الاداب السلطانية ، ص 104
- 48- القرشي، حياة الامام الحسين ، ج 2، ص 103
- 49- خطب الامام علي عليه السلام، ج 1، ص 210-212
- 50- خطب الامام علي عليه السلام ، ج 1، ص 218
- 51- دارمية الحجونية هي امرأة من بني كنانة سوداء اللون. ينظر ابن بكار، اخبار الوافدات من النساء، ص 40
- 52- الاميني الغدير ، ج 10، ص 166
- 53- ابو صخر كثير عزة الشاعر وهو ما يسمى كثير بن عبد الرحمن بن الاسود الزاعي. ينظر: الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج 2، ص 144
- 54- لم اعثر على ترجمه
- 55- ابي الفرج الاصفهاني، الاغانى ج 12 ص 393
- 56- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 4، ص 449
- 57- ابن قتبية، الامامة والسياسة ، ج 1، ص 225-254
- 58- صالح بن مسرح أحد بني امرئ القيس بن زيد مناة وكان من مخابيث الخوارج، وكان لا يرفع رأسه خشوعاً، وكان يكنى أبا مالك، فخرج ومعه فرسان من فرسانهم منهم ثور بن البطين بن سويد، ومرة، وخطامة، وشوذب، وشبيب، وهم من بني شيبان، فخرج بجوخي، ثم أتى النهروان فصلى في مصارع أصحابه. ينظر: البلاذري انساب الاشراف ج 8 ص 7
- 59- تاريخ الرسل والملوك ، ج 6، ص 215

60- ابن الاثير ،الكامل في تاريخ ،ج5، ص281

61- نسب قريش ،ص378

-المصادر والمراجع:

- ✻ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد ت 310هـ/922م
- 132-تاريخ الرسل والملوك، بيروت، دار التراث، ط2، 1387هـ.
- ✻ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ت 346هـ/957م
- 207-مروج الذهب ومعادن الجوهر، ايران، قم المقدسة- ، ط2، 1404هـ/ 1984م.
- ✻ ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين ت 213هـ وقيل 218هـ/833م
- 234-السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، 1375هـ / 1955م.
- ✻ ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي ت 230هـ/854م.
- 89-الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1410هـ /1990م.
- ✻ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ت 630هـ/1232م.
- 2-أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ / 1994م.
- 3-الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، لبنان _ بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1417هـ / 1997م.
- ✻ ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ت 774هـ/1372م
- 188-البداية والنهاية في التاريخ، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1408هـ / 1988م.
- ✻ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود ت 279هـ/892م
- 20-أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، بيروت، دار الفكر، ط1، 1417هـ / 1996م.
- ✻ اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح ت بعد 292هـ/897 م
- 239-البلدان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ.
- 240-تاريخ اليعقوبي، قم المقدسة، مطبعة شريعت، ط2، د. ت.
- ✻ خليفة بن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري ت 240هـ/854 م
- 71-تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، دمشق، مؤسسة الرسالة، دار القلم، ط2، 1397هـ.
- الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد ت 502هـ/1108م
- 80-المفردات في غريب القرآن ، تحقيق محمد سيد كيلاني ،القاهرة مطبعة البابي الحلبي ، 1380هـ/1961م.
- 81-الاغانى، تحقيق احسان عباس وإبراهيم السعافين، بيروت، دار صادر، د.ت.
- ✻ المفيد , أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان ت 412 هـ / 1021 م

- 214-الاختصاص، تحقيق علي أكبر الغفاري، لبنان بيروت دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، 1414 هـ / 1993 م .
- 215-الإرشاد، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، لبنان بيروت، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1411 هـ / 1993 م .

✽ ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ت 571هـ/1176 م

152-تاريخ مدينة دمشق، تحقيق، عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، 1415 هـ / 1995 م.

✽ ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ت 276هـ/889 م

173-عيون الأخبار، لبنان _ بيروت، دار الكتب العلمية، 1418هـ.

✽ القرشي، باقر شريف

339-حياة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام)، قم المقدسة، مطبعة مهر، ط1 1372

✽ الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) ت 40هـ/660م

154-خطب الإمام علي (ع) جمع الشريف الرضي ، تحقيق صبحي الصالح ، ، بيروت ، ط1 ، 1387 هـ / 1967 م